حوار الأديان بين المحفزات والمعوقات من خلال القرآن الكريم

د. رمضان بخلفه
جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وبعد، فإنه قد كثر الحديث حول موضوع الحوار كأسلوب من أساليب الدعوة الإسلامية في القديم والحديث، واختلف الناس في مواقفهم من ذلك تأييدا ورفضا، ونحسب أن الحوار وسيلة من وسائل الدعوة، فقد تكون هذه الوسيلة نافعة إذا تحققت بشروط نجاحها وبلوغ أهدافها، كما قد تكون غير نافعة إذا وضعت في غير موضعها، وصارت بذلك "كلمة حق أريد بها باطل"[1]، وهو ما دعانا للكلام في هذا البحث عن موضوع الحوار بأبعاده الإيجابية والسلبية، ومحاولة بيان بعض الشروط والضوابط التي تكفل نجاح الحوار كأسلوب للدعوة والتواصل.

مشروعية الحوار في القرآن الكريم:

شرع الله تعالى لتبليغ دعوته الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وهو الأصل في دعوة جميع حملة الشرائع السماوية من الأنبياء والرسل، و لم يشرع حمل السلاح وأدوات القتال في وجه المخالفين إلا لحماية الدعوة ومنجزاتها ممن يهددونها بنفس الوسائل والأدوات والأساليب.

---

[1]. ذكر ابن كثير أن عليا رضي الله عنه بينما هو يخطب يوما إذ قام إليه رجل من الخوارج فقال: يا علي أشركت في حكم الله الرجال، ولا حكم إلا لله، فتنادوا من كل جانب: "لا حكم إلا لله"، فجعل علي رضي الله عنه يقول: "كلمة حق أريد بها باطل " انظر: البداية والنهاية، منشورات مكتبة المعارف، بيروت. 282/7.

ولما بعث الله تعالى نبيه محمد ﷺ بالشريعة الخاتمة أمره أن يقيم دعوته على أسس واضحة من الحوار والمحاجة والبيان، والنصوص القرآنية في ذلك أكثر من أن تحصى، ونذكر منها:

ـ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

ـ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾[2].

ـ ﴿وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3].

ـ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾[4].

وبالرغم مما كان يلقاه المسلمون من صنوف الأذى والاضطهاد في سبيل عقيدتهم، فإنهم منعوا من الرد على الأذى بمثله بنص القرآن الكريم، كقوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ...﴾**[5] وقد روى الإمام النسائي في سبب نزول هذه الآية أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبي ﷺ بمكة فقالوا: يا رسول الله، إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: إني أمرت بالعفو..[6] وقوله تعالى أيضا: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى**

---

[1]. سورة النحل، الآية: 125.

[2]. سورة يوسف، الآية: 108.

[3]. سورة الكهف، الآية: 29.

[4]. سورة الغاشية، الآية: 22/21.

[5]. سورة النساء، الآية: 76.

[6]. رواه النسائي في سننه عن ابن عباس، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1991م. 310/5

﴿نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[1] ولقد مدح القرآن الكريم المؤمنين الذين لم يستجيبوا لتطاول الكفار، و لم يردوا على السوء بمثله في أكثر من آية، كقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا﴾[2] وقوله:﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

و لم تكن الدعوة بالحوار مقصورة على الفترة المكية فقط في تاريخ الدعوة النبوية، بل ظلت هي الأسلوب الأمثل في المرحلة المدنية مع جميع المدعوين فقال القرآن الكريم:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ...﴾[4]، وقوله أيضا:﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ [5].

وما شرع الجهاد ـــ الذي هو بمعنى القتال ـــ لتبليغ الدعوة أو حمل الناس على عقيدة التوحيد أبدا، و لم ينطق القرآن الكريم بذلك في موضع واحد منه، بل ما شرع الجهاد إلا للرد على العدوان بمثله، فكان شعار الإسلام الذي ظل يرفرف في سماء المدينة متمثلا في قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ...﴾[6]. ومن هنا فإن القرآن

---

[1]. سورة البقرة، الآية: 212.

[2]. سورة الفرقان، الآية: 63.

[3]. سورة آل عمران، الآية: 133.

[4]. سورة البقرة، الآية: 108.

[5]. سورة العنكبوت، الآية:46.

[6]. سورة البقرة، الآية:255.

الكريم لم يجعل المسلمين سباقين للقتال، وإنما أمرهم بالرد على من بدءوا القتال أول مرة فقال: ﴿أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1] أي بدءوكم بالقتال[2].

بل إن القرآن الكريم قد ذهب إلى أبعد من ذلك في العفو والتسامح في حق الذين آثروا رفع السلاح في وجه حملة الرسالة، فإنهم متى آثروا السلم واختاروا وضع أسلحتهم فإن المسلمين لا يسعهم إلا القبول بهذا الخيار لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3]؛ وفي ضوء هذه التوجيهات القرآنية كان النبي ﷺ يبغض لأصحابه الحرب والقتال، فينهى أصحابه عن تمني لقاء العدو ويقول:" **لا تمنوا لقاء العدو، فإذا لقيتموه فاثبتوا**"[4].

وهكذا فإن القرآن الكريم قد حرص على توفير أواصر البر والمودة مع المدعوين على اختلاف ألوانهم، ليتم الحوار في أجواء هادئة تجعل النفوس مهيأة لقبول الحق والأخذ به متى تبين، ومن أي طرف كان، فقال:

ـــ ﴿لاَ يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[5] .

ـــ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمْ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾[1].

---

[1]. سورة التوبة، الآية:13.

[2]. الطبري،جامع البيان عن تأويل آي القرآن،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،6،1995/117.

[3]. سورة الأنفال، الآية: 62.

[4].مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب الغزو، باب كراهة تمني لقاء العدو،دار الفكر، 143/5.

[5]. سورة الممتحنة، الآية:8.

ـــ ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ ...﴾[2].

ويتبين من الشواهد القرآنية السابقة أن دعوة الإسلام قد قامت في جوهرها على الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، وقد كان شعارها:﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾[3].

ولما كان الرسول ﷺ وقافا عند نصوص الكتاب، متمسكا بخلق القرآن الكريم، فقد سلك مسلك الحوار مع المخالفين، فكان في كل مرة يقيم الحجة على خصومه فيشرح الله صدورهم للإسلام، ويتحولون من أعداء مكذبين إلى أتباع مؤيدين، والشواهد على ذلك كثيرة، ونذكر منها:

ـــ أخرج الإمام أحمد عن عدي بن حاتم قال: لما بلغني خروج رسول الله ﷺ قلت: والله لو أتيت هذا الرجل فإن كان كاذبا لم يضرني، وإن كان صادقا علمت، قال: فلما قدمت قال الناس: عدي بن حاتم، فدخلت على رسول الله ﷺ فقال لي: يا عدي بن حاتم أسلم تسلم ـــ ثلاثا ـــ قال: قلت إني على دين. قال: أنا أعلم بدينك منك. فقلت: أنت أعلم مني بديني؟ فقال: نعم، ألست من الكروسية[4] وأنت تأكل مرباع قومك؟ قلت: بلى، قال: هذا لا يحل لك في دينك. قلت نعم، فلم يعد أن قالها فتواضعت لها، قال: أما إني أعلم الذي يمنعك من الإسلام، تقول: إنما اتبعه ضعاف الناس ومن لا قوة لهم، وقد رمتهم العرب، أتعرف الحيرة؟ قلت: لم أرها وقد سمعت

---

[1]. سورة النساء، الآية:93.

[2]. سورة المائدة، الآية:84.

[3]. سورة البقرة، الآية: 206

[4]. عقيدة بين النصرانية واليهودية.

بها، قال: فوالذي نفسي بيده ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز، قال: قلت كنوز ابن هرمز؟ قال: نعم كسرى بن هرمز، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد.. فأسلم عدي بن حاتم وكان يحدث بهذا الحوار فيقول: وهذه الظعينة تأتي من الحيرة تطوف بالبيت في غير جوار، ولقد كنت فيمن فتح كنوز كسرى، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة لأن رسول الله ﷺ قالها[1].

ـــ كما روت لنا كتب التفسير والسير أكثر من مشهد من مشاهد الحوار بين النبي ﷺ وبين بعض أهل الكتاب في قضايا اعتقادية وتشريعية، من ذلك حواره مع نصارى نجران في حقيقة عيسى بن مريم، وهو حوار طويل نجتزئ منه هذا المقطع:

قالوا له: من أبوه؟ (لإثبات أنه ابن الله تعالى).

فقال الرسول ﷺ: ألستم تعلمون أن الله حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء.

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟

قالوا: بلى.

قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟

قالوا: لا

قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟

قالوا: بلى.

قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علم؟

قالوا: لا.

---

[1]. مسند الإمام أحمد،حديث رقم: 17548. طبعة بيت الأفكار الدولية. ط1996. وانظر ابن كثير، البداية والنهاية: 66/5.

قال: ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء؟ وأن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟

قالوا: بلى.

قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يأكل الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟

قالوا: بلى.

قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟[1]

وعلى هذا الهدي النبوي سار من جاء بعده من أهل العلم، وقد حفظ لنا التاريخ الإسلامي صورا مشرقة من الحوار الذي ينبئ عن قبولهم سماع الرأي الآخر وتدبره وبحثه، ولا أدل على ذلك من الحوار الذي جرى بين الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب مع النجاشي ملك الحبشة حول حقيقة نبوة محمد ﷺ، فلم يلبث طويلا أن سلم للحق الذي سمعه فقال (.. يا معشر القسيسين والرهبان ما يزيدون هؤلاء على ما نقول في ابن مريم، ولا وزن هذه ـــ وأشار بعود كان بيده ـــ مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه رسول الله وأنه الذي بشر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه، امكثوا في أرضي ما شئتم..)[2].

ومن خير ما حفظ لنا التاريخ ذلك الحوار الجاد الذي جرى بين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وبين فرقة الحرورية من الخوارج، وقد كان هذا الحوار سببا في رجوع كثير من الخوارج عن موقفهم، كما كان له أثر واضح في تغير موازين الصراع بعدئذ.

---

[1]. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ، 3/ 114، بتصرف.

[2]. ابن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص:70

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: لما اعتزلت الحرورية، قلت لعلي: يا أمير المؤمنين، أبرد عن الصلاة فلعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم، قال: إني أتخوفهم عليك، قال: قلت كلا إن شاء الله، فلبست أحسن ما أقدر عليه من اليمانية، ثم دخلت عليهم وهم قائلون في حر الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوما أشد اجتهادا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود. قال: فدخلت، فقالوا: مرحبا بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟

قال: جئتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ ومن عند ابن عم رسول الله، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله، جئت لأبلغكم عنهم وأبلغهم عنكم.

فقال بعضهم: لا تخاصموا ـــ أي لا تحاوروا ـــ قريشا، فإن الله يقول:﴿ **بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾[1].

قال بعضهم: بل فلنكلمه.

قال: فكلمني منهم رجلان أو ثلاثة.

قال: قلت ما تنقمون عليه؟

قالوا: ثلاثا.

قلت: ما هي؟

قالوا: حكم الرجال في أمر الله، والله يقول:﴿ **إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ**﴾[2].

قال: قلت هذه واحدة، وماذا أيضا؟

قالوا: فإنه قاتلهم و لم يسب و لم يغنم، فلئن كانوا مؤمنين لم يحل قتالهم، ولئن كانوا كافرين حل قتالهم وسبيهم، قال: قلت وماذا أيضا؟

قالوا: محا نفسه من إمرة المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

---

[1]. سورة الزخرف، الآية: 58.

[2]. سورة يوسف، الآية: 40

قال: قلت فإن أتيتكم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينقض قولكم أترجعون؟ قالوا وما لنا لا نرجع؟

قال: قلت أما قولكم حكم الرجال في أمر الله فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنْ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[1]، وقال في المرأة وزوجها:﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾[2]، أنشدكم الله، أفحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم أحق، أم في أرنب ثمنها ربع درهم؟

قالوا: في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم.

قال: أخرجتم من هذه؟ قالوا: نعم.

قال: وأما قولكم قاتل و لم يسب و لم يغنم، أتسبون أمكم ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها؟ فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام، إن الله تعالى يقول:﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾[3]، وأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجتم من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتابا، فقال: اكتب، هذا ما قضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب يا علي:

---

[1]. سورة المائدة، الآية:97.

[2]. سورة النساء، الآية:35.

[3]. سورة الأحزاب، الآية: 6

محمد بن عبد الله، ورسول الله كان أفضل من علي. أخرجتم من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. فرجع منهم أربعة آلف، وبقي منهم ثمانية آلاف فقتلوا[1].

(والهدف المحدد الذي نريد له أن يحكم هذا الحوار هو زيادة المعرفة المتبادلة والاستبصار الهادئ المنصف لموقف الآخرين، والتأمل من جديد في مواضع الخلاف، والبحث الدؤوب في الوسائل والصيغ التي يمكن أن يتراضى عليها الفريقان بتجاوز تلك المواضع دون تصفيتها بإلغاء فريق منهما، وذلك كله رجاء أن يتعاون المسلمون فيما اتفقوا فيه، وأن يعذر المسلمون بعضهم بعضا فيما اختلفوا فيه، أو يجدوا لهم على الأقل سعة لا تحول دون المؤاخاة والتواصل)[2].

محفزات الحوار ومبرراته:

شرع القرآن الكريم الحوار كأسلوب للدعوة لأغراض منها:

1 ــ أن دعوة الإسلام لو قامت على الإكراه بالوسائل المادية لما صار هناك فرق بينها وبين الدعوات الباطلة، ولما كان بعدها عند الناس معيار لمعرفة دعوة الحق من دعوة الباطل، والله تعالى يقول:﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ**﴾[3].

2 ــ أن في الحوار فرصة لصاحب الحق كي يعرض دعوته في صورة مغرية وجذابة، بخلاف إغلاق باب الحوار فإنه تبقى للخصم الفرصة كي يعرف الإسلام في الصورة التي يريدها، فيلبسه من الشبهات والأباطيل ما يجعل الناس ينفرون منه، وهو ما أشار إليه

---

[1]. ابن كثير، البداية والنهاية، 282/7. وقد ذكر ابن كثير أن عددهم يومئذ كان اثني عشر ألفا، أو ستة عشر ألفا.

[2]. حوار لا مواجهة، د. أحمد مكال أبو المجد، دار الشروق،القاهرة، ط 1988م، ص: 272.

[3]. سورة النبياء، الآية: 18.

القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

3 – ومن هنا فإن في الحوار فرصة لإقناع الدهماء من الناس الذين يذهبون ضحية الشبهات والمغالطات، وهو غرض واضح في كثير من النماذج القرآنية، من ذلك ما جاء على لسان موسى عليه السلام في قوله لفرعون إذ دعاه لمواجهة السحرة، فأجابه لذلك مشترطا أن يكون يوما مشهودا فقال:﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[2] فكانت الفرصة الحاسمة في إظهار الحق الذي كان يدعو إليه موسى عليه السلام، وإبطال الباطل الذي تولى كبره فرعون، فأعلن الناس إيمانهم بدعوة موسى، متحدين فرعون وملأه، وغير عابئين بغضبه ووعيده[3].

4 – كما أن في الحوار إعذارا من الله تعالى للناس، حيث بعث أنبياءه ليقيموا الحجة على عباده في إبلاغهم رسالاته، وحسابهم بعد ذلك على الله تعالى، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِأَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[4].

---

[1]. سورة آل عمران، الآية:70.

[2]. سورة طه، الآية: 58.

[3]. قال الطبري:(قال موسى لفرعون حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع: موعدكم للاجتماع "يوم الزينة " يعني يوم عيد كان لهم، أو سوق كانوا يتزينون فيه " وان يحشر الناس " يقول: وان يساق الناس من كل فج وناحية " ضحى" فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع) الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 220/9

[4]. سورة النساء، الآية: 164.

وفي هذا المعنى عرض علينا القرآن الكريم مشهدا من تاريخ بني إسرائيل عندما اعتدوا في يوم السبت[1]، واتسعت دائرة الاعتداء على قدسية هذا اليوم، و لم يثبت منهم إلا القليل ممن أوتوا العلم والإيمان، فانقسموا في موقفهم تجاه المعتدين فريقين، فمنهم من رأى وجوب اعتزالهم وعدم مشاركتهم في اعتدائهم من غير إنكار عليهم ـــ حيث أصبح الإنكار غير نافع لهم ـــ ومنهم من رأى ضرورة محاورتهم ووعظهم لإقامة الحجة عليهم أمام الله تعالى، فقرر القرآن الكريم أن الحق مع الفريق الثاني الذي آثر المحاورة والإنكار، ولما نزل ببني إسرائيل عذاب الله تعالى أصاب المعتدين على قدسية ذلك اليوم، وأنجى الذين أنكروا بألسنتهم وأقاموا الحجة على المخالفين، وأما الذين سكتوا فقد سكت عنهم القرآن الكريم، والظاهر أن العذاب قد شملهم لتقصيرهم عن الوعظ والإنكار، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:﴿ **وَاسْأَلْهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾[2].

ورب معترض يعترض بسوء نوايا الطرف الآخر في الحوار، وهذا في الحقيقة لا يكفي لرفض الحوار مع المخالفين، لأن الأصل أن نأخذ الناس بما جادت به ألسنتهم، ولا نتطلع لما تخفيه قلوبهم لقوله ﷺ: "إني لم أؤمر أن أنقب على قلوب الناس، ولا أشق بطونهم"[3]

---

[1]. وهو اليوم الذي ارتضوه كي يتفرغوا فيه لطاعته تعالى، فكتبه الله عليهم،:"وقلنا لهم لا تعدوا في السبت " النساء، الآية: 153

[2]. سورة الأعراف، الآية:164/163.

[3]. مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم 142/2.

ولذا فإن الأنبياء عليهم السلام قد حاوروا أقوامهم ووعظوهم، وقد كانوا أشد مكرا وغدرا وسخرية وإصرارا على باطلهم، والأمثلة على ذلك من القرآن الكريم كثيرة، ونذكر منها:

ـ ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[1].

ـ ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾[2].

ـ ﴿قَالُوا يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[3].

ومن هنا فإن الحوار لا ينحصر أغراضه في محاولة إقناع الطرف المحاور، بل إن أهم هذه الأغراض هو دفع الشبهات التي تحجب الحق عن العامة من الناس، وإقامة الحجة على العباد، وهو ما قد يتحقق بغض الطرف عن نوايا الطرف المحاور.

محفزات الحوار بين الحضارات:

إن الحوار بين الحضارات التي كانت نتاج الرسالات السماوية تدعو إليه أكثر من ضرورة، وإن العناصر التي تجمع هذه الحضارات أكثر من تلك التي تفرقها، مما يجعل النظرة الموضوعية تحفزنا على هذا النوع من الحوار بين الحضارات، ونذكر منها:

1 ـ أن هذه الحضارات على اختلافها إنما هي نتاج رسالات سماوية جاءت في فترات تاريخية متعاقبة، وكلها تتفق على ضرورة إدراج البعد الروحي في كل عطاء حضاري، وأن دعوات الإلحاد والعلمانية وغيرها إنما هي دعوات طارئة وغريبة، وهي خطر ووبال على الأديان، ومن هنا فإن كل الشرائع السماوية تتفق في موقف الضد منها.

---

[1]. سورة إبراهيم، الآية: 48.

[2]. سورة الشعراء، الآية:39/38.

[3]. سورة هود، الآية: 32.

2 ــ أن هذه الشرائع السماوية على اختلافها وتفاوتها في بعض الخصائص توجد بينها قواسم مشتركة كفيلة بتوفير أواصر الألفة والتعاون والتعايش السلمي، وقد نبه القرآن الكريم على ذلك في أكثر من موضع، ففي القواسم المشتركة مع اليهودية قال القران الكريم:﴿ **وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمْ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ...**﴾[1]، وقال:﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ...**﴾[2].

وأما عن النصوص القرآنية التي تثبت وجود القواسم المشتركة بين النصرانية والإسلام فهي أكثر من أن تحصى، ذلك أن أغلب الآيات التي تتحدث عن هذه القواسم المشتركة بين الإسلام وبين أهل الكتاب إنما تنصرف بصفة أخص إلى النصرانية، وقد صور القرآن الكريم وجود هذا التواصل بين هدي الإسلام وبين النصارى أحسن تصوير في قوله تعالى:﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنْ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ**﴾[3]، أضف إلى ذلك تلك البشارات التي وردت في التوراة والانجيل حول بعثة خاتم النبيئين، وهي بشارات ناطقة بصدقه، وقد أقر بها من أسلم من أهل الكتاب، وحتى بعض المنصفين ممن لم يسلم منهم، وقد كشف القران الكريم عن هذه الحقيقة فقال: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[4].

ونقف على معنى هذه الآية في ذلك الحوار الشيق الذي دار بين أبي سفيان ــ يوم كان على شركه ــ وهرقل عظيم الروم حول نبوة محمد ﷺ، فانتهى إلى التسليم بصدق نبوته وتمنى لقائه.

---

[1]. سورة المائدة، الآية: 45.

[2]. سورة المائدة، الآية: 46

[3]. سورة المائدة، الآية: 85

[4]. سورة البقرة، الآية:145.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله صلى اللهم عليه وسلم[1] قال: فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من رسول الله صلى اللهم عليه وسلم إلى هرقل يعني عظيم الروم، قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل، فقال هرقل: هل هاهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، قالوا: نعم، قال: فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه فقال: أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فقال أبو سفيان: فقلت أنا، فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بترجمانه فقال له: قل لهم إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كذبني فكذبوه، قال: فقال أبو سفيان وأيم الله لولا مخافة أن يؤثر علي الكذب لكذبت، ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم، قال: قلت هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه ملك؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال ومن يتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قال: قلت لا بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: قلت لا، قال فهل قاتلتموه؟ قلت نعم، قال فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت تكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قلت لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها، قال: فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه، قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قال: قلت لا، قال لترجمانه: قل له إني سألتك عن حسبه فزعمت أنه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك هل كان في آبائه ملك فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت رجل يطلب ملك آبائه، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم فقلت بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، وسألتك هل

---

[1]. أي فترة الصلح التي كانت بين الحديبية وبين فتح مكة.

كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا، فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتك هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، وسألتك هل يزيدون أو ينقصون، فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل قاتلتموه فزعمت أنكم قد قاتلتموه فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك هل يغدر فزعمت أنه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك هل قال هذا القول أحد قبله فزعمت أن لا، فقلت لو قال هذا القول أحد قبله قلت رجل ائتم بقول قيل قبله، قال: ثم قال بم يأمركم قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف، قال إن يكن ما تقول فيه حقا فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن، ملكه ما تحت قدمي، قال ثم دعا بكتاب رسول الله صلى اللهم عليه وسلم فقرأه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَ نَعْبُدَ إِلاَ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1] فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا، قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليخافه ملك بني الأصفر، قال فما زلت موقنا بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر، حتى أدخل الله علي الإسلام"[2].

---

[1]. سورة آل عمران، الآية: 63.

[2]. رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه للإسلام، 164/5.

3 ـ أن القرآن الكريم قد أحل للمسلمين كثيرا من المعاملات الحساسة مع أهل الكتاب التي تجعل منهم مجتمعا واحدا متماسكا متعاونا، فأحل أكل ذبائحهم، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فأحل التزوج من نسائهم في الظروف العادية، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:﴿ **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ...**﴾[1].

وقد زاد هذا المعنى توضيحا الباحث أسعد السحمراني فقال: «لا يمنع الإسلام من تعايش المسلمين والمسيحيين في مجتمع واحد، وهذا التعايش ينطلق من قوله تعالى:﴿ **لاَ يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ**﴾ ولا أدل على ذلك من إباحة الإسلام للمسلمين أن يأكلوا من طعام الكتابي وخاصة ذبائحه، وما إحلال الطعام إلا إقرار لإحلال ما سواه من أدوات الحياة اليومية كالصناعات والملابس وعمارة البيوت وغيرها. ويتجاوز الحكم الشرعي مسألة الأدوات المعيشية والأطعمة التي تجوز المشاركة فيها أبناء المجتمع الواحد مسلمين وغير مسلمين، ليعطي للمسلم حق الزواج من الكتابية إذا ما تم الزواج بشكل مشروع ودون انحراف أو أسباب عارضة، وفي هذا جاء قوله تعالى:﴿ **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ...**﴾)[2]. (وإذا كانت بعض الآيات قد دعت إلى الحذر من بعض أهل الكتاب، والتشدد في مواجهتهم فإن معظم ذلك ينصرف إلى اليهود الذين ما فتئوا يكذبون الرسل والأنبياء، ويزرعون الفتن والانقسامات بين كل من تآلفوا من أبناء أي مجتمع)[3].

---

[1]. سورة المائدة، الآية: 6

[2]. د. أسعد السحمراني، الإسلام بين المذاهب والأديان، دار النفائس، بيروت،ط1، 1986م، ص: 64.

[3]. المصدر نفسه:65

4 ـ أن بلاد هذه الشرائع السماوية هي مهد رسالات السماء، وأبناؤها حملوا الدعوة إلى أرجاء العالم كله وما يزالون، وتحويل مجتمعاتنا إلى مجتمعات لا دينية يفقدها دورها الريادي العالمي.

معوقات الحوار ومحاذيره:

أ ـ المعوقات:

ولكن على الرغم من وجود هذه المحفزات على الحوار بين الإسلام وغيره من الأديان الأخرى، فإننا لا ننكر وجود معوقات لا يمكن تجاهلها والقفز عليها، بل يجب التعامل مع هذه المعوقات بقدر مقبول من الموضوعية ومحاولة التخفيف من وطئتها، علما بأن هذه المعوقات تكاد تتقاسمها أطراف الحوار كلها، ونحن سنحاول اختصارها فيما يأتي:

1 ـ غياب النموذج الإسلامي في الواقع الذي يصدق قولنا عندما نتحدث عن الإسلام في نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ولذا فإننا نلاحظ أن الإقبال على الإسلام اليوم إنما يقع من الأفراد فقط متأثرين بسلوك فردي أو دراسة شخصية للإسلام، وأما على مستوى الجماعة فإننا نستبعد أن يبلغ الحوار هدفه ويؤتي ثماره ما دامت بلاد المسلمين لا تمثل الإسلام في بعده التنظيمي والجماعي.

2 ـ ما ترتب على غياب الإسلام عن واقع الأمة من فقر وتخلف في بلاد المسلمين جعل تحدي الغرب المسيحي بوسائله الإعلامية يظهر بمظهر المتفوق، وبالمقابل نجد من أبناء المسلمين وغير المسلمين من يحاول أن يلصق هذه المظاهر بالإسلام في عقيدته وشريعته وأخلاقه، فيفسرون تخلف المسلمين بإفراطهم في ربط واقعهم بمسائل غيبية، وسيطرة عقيدة الجبر على عقولهم، وغيرها التصورات التي تشل جزءا كبيرا من نشاطهم وروح الإبداع عندهم.

3 ـ اتساع دائرة الخلاف بين المسلمين أنفسهم إلى درجة يصعب معها الاتفاق على الصورة التي يقدم فيها مشروعنا الحضاري في ثوبه الإسلامي، وذلك بسبب غياب

المؤسسات الشرعية ذات الطابع الرسمي والتي تملك حق رفع الخلاف وحمل الأمة على رأي واحد في واقعهم بغض النظر عن الخلاف الذي يبقى محصورا في دائرة الأفراد، ولذلك فإننا قبل أن ننطلق في حوارنا مع الآخر يجدر بنا أن ننطلق في حوار إسلامي ـــ إسلامي لنبني منظومتنا الفكرية التي تمثل الأمة، لنستطيع بعدها أن نشكل مرجعية فكرية تكون محل اتفاق بين المسلمين.

إن غياب الإجماع الإسلامي على الصورة التي يقدم فيها الإسلام للمخالفين كان أحد الأسباب البارزة في غياب مؤسسات إسلامية دولية تمثل الأمة في الحوار مع الآخرين، فبقي الحوار مقصورا على جهود شبه فردية، فكانت جهودا محدودة لا تقوى على مواجهة تحدي مؤسسات ضخمة في نواح كثيرة من العالم.

أما المعوقات من جهة الطرف الآخر فهي كثيرة أيضا ومتنوعة بتنوع الطرف المحاور فيطول شرحها، ونحن سنشير إلى بعض هذه المعوقات عند أهل الكتاب من خلال ما صرح به القرآن الكريم:

1 ـــ من ذلك تصريح القرآن الكريم بما أدخلوا على عقائدهم من الغلو والتشدد فأنكره الله تعالى عليهم بقوله:﴿ **يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَ الْحَقَّ**﴾[1].

2 ـــ وأن هذا الغلو قد أوقعهم في خلافات لا سبيل لتجاوزها أو تجاهلها، وأن القرآن جاء ليقول الحق فيما اختلفوا فيه:﴿ **هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾.

3 ـــ ثم إن هذا الخلاف قد كان سليل الهوى والبغي وغيره من الأمراض النفسية: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾.

---

[1]. سورة النساء، الآية: 170.

4 ـ ونظرا لما أحدثوا في كتبهم من تحريف وكتمان فإن الله تعالى قد أنزل بهم غضبه فأوقع بينهم العداوة المؤبدة إلى يوم الدين، فكيف لطرف أفسد دينه يصلح أن يحاور طرفا آخر، وقد فصل القرآن الكريم في هذا الجانب بقوله: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَمِنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ...** ﴾[1].

ب ـ محاذير الحوار:

ومثلما توجد معوقات لحوار الإسلام مع غيره من الأديان، فإنه توجد إلى جانب ذلك محاذير كثيرة لا ينبغي تجاوزها أو إغفالها، ونذكر منها:

1 ـ أن يسند الحوار إلى أناس غير متخصصين وغير عارفين بأحكام الإسلام ومناهجه ومقاصده التشريعية والعقدية، فلا يحسنون عرض بضاعتهم، وربما أراد أحدهم أن يدافع عن الإسلام فتجده يدافع عن عرف ضيق، أو مذهب فاسد، أو اتجاه معلول وليد ظروف بيئية، فهو محسوب على الإسلام وفي الحقيقة ليس منه، ومن تم تجده يعرض قضيته مشفوعة بحجج واهية، ويكون فشله في مثل هذا الحوار لهذه الأسباب معتبرا فشلا لقضيته ذاتها..

2 ـ ومثل ذلك أيضا إذا أسند الحوار إلى أفراد أو هيئات تتسم مواقفهم بالتشدد والتنطع أو التسرع ونحوه، فتجدهم يضيقون بالرأي المخالف..فيعرضون الإسلام انطلاقا مما في نفوسهم من تشدد وتنطع، وليس انطلاقا مما فيه من يسر ومرونة، ومثل هذه النماذج المتشددة في عرض الإسلام متكررة في جميع الأحقاب والمراحل من التاريخ

---

[1]. سورة المائدة، الآية:15/14

الإسلامي بل ومنذ عصر النبوة، ومظاهر التطرف والغلو في فهم الدين تظهر في الأفراد والجماعات، ويريدون أن يحملوا الناس عليها، ولطالما حرص النبي ﷺ على ترسيخ روح الاعتدال في فهم الإسلام، ومحاربة مظاهر التشدد والغلو في أصحابه، لما كان يعلمه من أثره البالغ في تنفير الناس وصرفهم عن دين الله تعالى، فمن ذلك الحديث الذي رواه البخاري أن أبا ذر ﷺ قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق ـــ ثلاثا ـــ ثم قال: في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر؟ فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر[1].

وأكثر من ذلك ما جاء في الحديث الصحيح: " **سيحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين**" ذلك أن الدين متى تعرض لواحدة من هذه المظاهر فإنها كافية لتنفير الناس منه وتزهيدهم فيه، "ومما يروى في الصحاح أيضا عن أنس بن مالك ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني[2].

ولا يغرنك أن يكون التشدد مصحوبا بكثرة العبادة والتنسك فإنه لا ينفع صاحبه، ولقد بين النبي ﷺ موقف الإسلام من الخوارج الذين شذوا في فهم القرآن والسنة،

---

[1].مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله دخل الجنة..65/1.

[2] البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح انظر فتح الباري:85/9.

وذهبوا يكفرون سواد الأمة بالذنب يقعون فيه من غير استحلال له، بأنهم لا ينتفعون بكثرة صلاتهم وصيامهم ما لم يتوبوا ويقلعوا عن تشددهم وتنطعهم فقال: **"يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وعملكم مع عملهم، ويقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.."**[1] الحديث وما أعظم تلك الصورة التي رسمها النبي ﷺ لحالة المتشدد في قوله: **"إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه"**[2]، تلك هي نتائج ومخاطر الذين يتصدرون للدعوة والحوار، وهم على تلك الصورة من الغلو والتشدد، فإنهم يجنون على أنفسهم وعلى غيرهم.

3 ـ ومثلما نتحفظ على عملية الحوار بين الإسلام وغيره من الأديان أن يتولاه أصحاب الغلو والتشدد، فإننا نتحفظ أكثر على الذين قد يتصدرون لحمل هذه الأمانة من غير المتشبعين بالغيرة على قيم الحق والعدل التي يتميز بها دينهم، فربما كان من هؤلاء من يحمل عاطفة باردة تجاه دينه، فتراه يتنكر لأحكامه التفصيلية، ولا يتوفر على القناعة الكاملة بأن الإسلام هو ملاذ البشرية ومخلصها، ذلك أن الكثير من أبناء المسلمين اليوم واقعون في دائرة الانجذاب نحو الغرب المسيحي اليهودي في بعده المادي والإيديولوجي تحت ضغط الواقع وما يسمى بعموم البلوى، فمن كان هذا حاله نفسيا وفكريا فإنه لا يقوى على حمل رسالة الحوار والبلوغ به إلى مداه المطلوب، ذلك أن المسلم الذي هو جدير بحمل هذه الأمانة وتبليغها عن طريق الحوار مع المخالفين يجب أن يكون على ثقة من نفسه ودينه من غير اغترار، وعلى عزة من غير عناد أو استكبار، وما أجمل وأحسن تلك العبارة التي رد بها النبي ﷺ على وفد "بني شيبان" يوم دعاهم للإسلام فقبلوا منه ما

---

[1]. المصدر نفسه، كتاب فضائل القرآن، باب إثم من راءى بالقرآن أو تأكل به أو فجر به، انظر فتح الباري:81/9.

[2]. رواه الإمام أحمد في مسنده: 199/3.

يدعوهم إليه مع بقائهم على عهدهم مع كسرى الفرس فأجابهم بقوله:" **ما أسأتم في الرد إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه**"[1].

4 ــ ومن المحاذير التي نخشاها في مثل هذا المقام أن يتخذ الحوار كبديل عن باقي وسائل الدعوة الإسلامية الأخرى، فإذا كنا قد بينا بأن الحوار مع المخالفين واجب شرعي، فإن هذا لا يعني بحال تعطيل الواجبات الشرعية الأخرى في تبليغ الدعوة وحمايتها، ذلك أننا نلمس من بعض دعاة الحوار اليوم محاولة جعله بديلا عن الجهاد بكل مفاهيمه في الإسلام، لأن أخشى ما يخشونه أن يحيي المسلمون هذه الفريضة الغائبة فينجحوا في رفع الغبن الواقع عليهم ويستردون حقوقهم المسلوبة، علما بأن الجهاد بشروطه المشروعة هو فريضة قائمة إلى يوم القيامة بحكم الظلم والعدوان المتجدد على الأمة في كل عصر، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾ [2].

بعض ضوابط الحوار المنهجية والسلوكية:

ونزولا عند هذه المحفزات على الحوار التي سبق ذكرها من جهة، ومراعاة للمعوقات والمحاذير التي تثني عزمنا عن ممارسة الحوار من جهة أخرى نرى أن الحوار المشروع هو ذلك الحوار الذي يقوم على قواعد وضوابط سليمة تخدم طرفي الحوار، وتمكنهم من الاحتكام إلى موازين الحق والعدل، وتتمثل هذه الضوابط في نظري فيما يأتي:

1 ــ أن يكون موضوع الحوار مما تختلف فيه الأفهام، وتتعدد فيه وجهات النظر، أما المسلمات والبدهيات التي تعارف عليها الناس، فلا تصلح أن تكون موضع الجدل

---

[1]. ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والسير، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1982. مج1 ص:190.

[2]. سورة البقرة، الآية: 215.

والحوار، لأنه لا تكون ساعتئذ مقاييس أخرى فوق هذه المسلمات يحتكم إليها فيكون الحوار ضربا من العبث، وفي ذلك يقول الشاعر الحكيم:

وهل يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ولا يعترض على قولنا هذا بأن الأنبياء عليهم السلام قد قبلوا الجدال والحوار في المسلمات والبدهيات، مثلما فعل إبراهيم عليه السلام مع النمرود الذي حاجه في وجود الله تعالى في قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ**﴾[1] فإن هذه القصة واردة في معرض الحديث عن الحوار المذموم الذي ينطلق صاحبه من العناد والمكابرة، ونحن في حديثنا هذا إنما نخص به الحوار الذي ينشد به الطرفان البحث عن الحق الذي يمكن أن يلتقي عليه كل منهما.

2 ـ البعد عن التعصب المذموم لأشياء لا تقوم على برهان سليم أو نقل صحيح، فلا ينبري للحوار والجدل إلا من تحلى بالقاعدة الذهبية التي توارثها أهل العلم وهي "**رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب**" ذلك أن المحاور باحث عن الحق فينبغي الإذعان له متى تبين، وقد قرر القرآن الكريم هذه القاعدة في أكثر من موضع، ونذكر منها:﴿ **أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾[2]، ولذلك سخر القرآن الكريم من موقف فرعون المتعصب الذي أسس موقفه على النظرة الأحادية في نزاله مع موسى عليه السلام عندما قال كما حكى عنه القرآن الكريم:﴿ **وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ**﴾[3] فلم يقل لعلنا نتبع الحق، ولذلك سجل عليه القرآن الكريم اللائمة إلى يوم

---

[1]. سورة البقرة، الآية: 257.

[2]. سورة يونس، الآية: 35.

[3]. سورة الشعراء، الآية: 38/37

الدين في قوله:﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

3 ــ التحلي بالخلق الحسن سلوكا وقولا، لأن الخلق السيء كفيل برفض الرأي الآخر لما يسببه من موانع نفسية فتكون حجابا دون بلوغ الحجة مبلغها، ولذلك قال القرآن الكريم في معرض الثناء على الرسول ﷺ:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، ثم ثنى على أهمية هذا العنصر في كسب الأتباع وتأليف قلوبهم بقوله:﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[3]، فإذا كانت الفظاظة تحول الصديق الودود عدوا، فمن باب أولى أن تزيد العدو عداء وجفاء. ولهذا الغرض العظيم نهى القرآن الكريم عن سب آلهة المشركين لأنه يحملهم على سب الله تعالى وعداء دينه، فقال:﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [4]، فتقرر من هذه الآية المحكمة أن لغة السباب ونحوها لا تصلح أن تكون لغة للحوار الهادف والمثمر.

4 ــ أن يلتزم المحاور أصول الدعوى التي انتدب للدفاع عنها، فلا يتبنى دعوى معينة، ثم لا يلبث قليلا حتى يأتي بما ينقضها مما يدل على عدم اقتناعه بحقيقة ما يدافع عنه أو جهله به، وهو ما مثل له القرآن الكريم بحال المشركين الذين كانوا ينكرون على النبي محمد ﷺ بشريته، وزعموا أن النبي لا يكون إلا ملكا من الملائكة، في الوقت الذي كانوا يقرون لأهل الكتاب بأنبيائهم الذين بعثوا فيهم من بني جنسهم، فسجل عليهم القرآن

---

[1]. سورة النمل، الآية: 14.

[2]. سورة ن، الآية: 4.

[3]. سورة آل عمران، الآية: 159.

[4]. سورة الأنعام، الآية: 109.

الكريم هذا التناقض المذموم في قوله:﴿ وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ إِلاَ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [1].

5 ــ التوفر على العلم والحجة والبرهان، ذلك أن الغرض من الحوار هو مقارعة الحجة الواضحة بالحجة الأكثر وضوحا والدليل القوي بالدليل الأقوى، فإذا تصدر الحوار من لا يتوفر على حجة أو دليل كان ذلك نوعا من العناد والمكابرة ليس إلا، ولذلك كرر القرآن الكريم النكير على من يجادل بغير علم فقال:﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾[2]، كما عاتب الذين يجادلون فيجاوزون ما يعلمون إلى ما لا يعلمون فقال:﴿ هَاأَنْتُمْ هَؤُلاَءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [3].

6 ــ حسن الاستماع والفهم والقدرة على استيعاب الرأي الآخر، لأن المحاور الجاد هو الذي يهتم بصاحبه، ويصغي لكلامه ويحسن الإنصات له، ويعطيه الفرصة للتعبير عن رأيه حتى النهاية، فإن كان حقا استفاد منه وإن كانت شبهة ألم بها من جذورها[4]، لأنه لا يمكن الحكم على رأي الآخر وتقويمه، أو رده وتفنيده قبل فهمه على الوجه الذي أراده المتكلم، ولذلك قال الشاعر الحكيم:

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهـــم السقـــيم

بل ينبغي على المحاور أن يذهب إلى أبعد من ذلك فيعرف الخلفيات الفكرية والنفسية المؤثرة على الطرف الآخر، وبناء على تلك المعرفة يمكن تحديد نوعية الخطاب وأسلوبه،

---

[1]. سورة الفرقان، الآية: 20

[2]. سورة الحج، الآية:8.

[3]. سورة آل عمران، الآية: 66.

[4]. أحمد بن عبد الرحمن الصويان، الحوار: أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، دار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1413هـ،ص:108.

وما أحسن قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل لما وجهه إلى اليمن فقال له: **"إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة.."**[1].

ومن حسن الفهم أيضا أن يعرف المحاور مواضع الاتفاق والاختلاف بينه وبين من يحاوره، فيتخذ من مواضع الاتفاق وسيلة للكسب والتأليف والتقريب بين وجهات النظر، ويجعل من مواضع الاختلاف مجالا للمحاجة والإقناع بالتي هي أحسن.

ونتهي من كل ما سبق إلى القول بأن الحوار هو أحد الأساليب الفعالة التي شرعها القرآن الكريم في حمل دعوة الإسلام، وقد سلك النبي ﷺ ومن جاء بعده هذا المسلك الحكيم في تبليغ رسالته فكانوا خير قدوة لنا في مثل هذا المقام، ثم إن مشروعيته قائمة ومستمرة إلى يوم القيامة بشروطه وآدابه السلوكية وانتفاء موانعه النفسية والفكرية والواقعية.

---

[1]. مسلم، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين، 37/1.